موقف ابن عباس من آيات الصفات –الوجه أنموذجاً

سالم أبو بكر سالم الهدار

أنس محمد أحمد

المستخلص:

تناولت هذه الورقة موضوعاً في غاية الأهمية، إذ يتم البحث فيها عن رأي ابن عباس في الخوض في معنى آيات الصفات الواردة في حق الله تعالى، حيث إن هذه المسألة يترتب عليها معرفة موقف السلف من آيات الصفات؛ وذلك لما لشخصية ابن عباس من أهمية بالغة في علم التفسير، وقد تم البحث عن الأخبار المروية عن ابن عباس في تفسير لفظ الوجه الوارد في قوله تعالى:{ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ (١١٥)} [البقرة : ١١٥]، وتم حصر هذه الآخبار ودراسة أسانيدها والحكم عليها من حيث الصحة والضعف، وكذلك دراسة المتن ومناقشته بما ورد في كتب المفسرين المشتهرة. وقد خلصنا فيها لنتائج و هي: أن شخصية الصحابي الجليل عبد الله بن عباس من الشخصيات المهمة في علم التفسير. وأن التأويل عند المتقدمين هو بيان اللفظ سواء كان بالمعنى الظاهر أو بالمعنى المحتمل، وليس ما اشتهر عند المتأخرين أنه صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى محتمل. وأن التأويل – بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره – لآيات الصفات جرى الخلاف فيها بين الفرق الإسلامية، وكلهم يستدلون بالكتاب والسنة وآثار السلف، وثبت عن ابن عباس صرف لفظ الوجه عن المعنى المتبادر للذهن – وهو العضو المعروف – إلى معنى آخر، وهو اتباع أمر الله باستقبال القبلة المؤدي لرضا الله. وأهم التوصيات التي خرجت بها هي: قيام دراسة كاملة لجميع الروايات التي وردت عن ابن عباس في معنى آيات الصفات للخروج بموقف قاطع لحبر الأمة من هذه المسألة.

ABSTRACT

This paper had discussed a very important topic. It would study ibn Abbas's contribution in delving in the meaning of the attributes of Allah. It is well known that this argument has an impact in understanding the approach of Predecessor towards attributes verses. The researcher has elaborate in the relevant literature in the meaning of (١١٥) فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ, these opinion been studied in detail in term of authenticity and approved or disapprove it, also examine the body and compare it it which been there in the famous books. The result were that ibn Abbas one of the main scholar in Tafseer. Which use to be just explain the literal meaning of the word or the possible meaning. It is different than what it is known is to switch the word to alternative meaning. This argument has been drifting different schools of thoughts while all of them are relying on the same literature. It is proven that ibn Abbas has switch the litral meaning in the word to the altarnitive meaning, which follow Allah instruction to face the current Qibblah that lead towards Rida Allah. This study has come up with important recommendation which is highlight the importance of studying the entire thoughts and opinion oof Ibn Abbas in regards of attribute verses and to have clear cut conclusion about his stand,

الكلمات المفتاحية:

التفويض – وجه الله – السلف

---

[١]- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية الدراسات العليا- البريد الالكتروني: sa_haddar@hotmail.com

الهاتف الجوال: ٠٩٩٩٤٧٩٨٩٩

٢- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – معهد العلوم والبحوث الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد... فإن علم التفسير وما يرتبط به من أشرف العلوم لارتباطه بكتاب الله المنزل، وهو مستند جميع العلوم الشرعية التي تقوم أسسها على الكتاب وما ورد فيه من آيات وفي المعاني التي استنبطها العلماء من ألفاظه التي نزلت بلسان عربي مبين، فعليه يقوم علم الفقه وأصوله، وعليه اعتمد علماء العقيدة في استدلالاتهم على العقيدة الصحيحة والتي عليها أجمع المسلمون، وانطلاقاً من هذه الأهمية فقد تم اختيار موضوع تأويل آيات الصفات مقتصراً على صفة منها وهي صفة الوجه مثالاً لموقف السلف من هذه الآيات، وباحثاً فيها عن موقف ابن عباس حبر الأم وترجمان القرآن؛ لأنه من أُجْمِع على إمامته في علم التفسير عند جميع الفرق، وقد قيل فيه ما يدل على اعتماد العلماء عليه في تفسير آيات الله، وبمعرفة موقفه من آيات الصفات يتضح المنهج الحق الذي يجب السير عليه في التعامل مع آيات الصفات، لذلك كان اختيار عنوان هذه الورقة البحثية: (موقف ابن عباس من آيات الصفات – الوجه أنموذجاً)، وتهدف هذه الورقة إلى لفت أنظار الباحثين إلى أن التتبع والدراسة والتحليل هو أساس معرفة الحق وهو الأحق بأن يتبع.

ولم يسبق أن دُرست هذه الجزئية من الروايات الواردة عن ابن عباس بخصوص آيات الصفات، وقد جمعت روايات ابن عباس في كتاب تنوير المقباس جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، وكذلك جمع الدكتور عبد العزيز عبد الله الحميدي روايات ابن عباس في أطروحته للدكتوراه ــ وقد اقتصرا على جمع الروايات دون دراستها.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث يتم جمع النصوص المنقولة عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[1]، مع دراسة السند والحكم عليه، ومن ثم تُجمع الأقوال الأخرى وتناقش على وفق ما ذكره العلماء في كتب التفسير المشهورة من أدلة نقلية وعقلية معضودة بالنقل، منها يتم الخروج بنتيجة واضحة في الموقف الذي سار عليه ابن عباس في تعامله مع آيات الصفات ليكون مقياساً ومرشداً في باقي الآيات.

ترجمة حبر الأمة عبد الله بن عباس – رضي الله عنه-:

هو الصحابي الجليل أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم[2]، ابن عم رسول الله، ويسمى البحر، ويسمى حبر الأمة[3].

واختلف أهل السير في سنة ولادته إل ثلاثة أقوال:

١. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين[4]. وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم[5].
٢. ولد قبل الهجرة بسنتين[6].
٣. ولد قبل الهجرة بخمس سنوات: وهو ما روي عن ابن عباس قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن خمس عشرة سنة[7].

---

(1) سورة البقرة، الآية ١١٥.

(2) ابن الاثير، علي بن محمد (٢٠٠٠٦م) أسد الغابة في معرفة الصحابة،ج٢، تحقيق:خالد طرسوسي، (ط١)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ص ١٣٠. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (٢٠٠٥م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب،ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص ٢٨٤. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (١٩٩٤م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ص٦٢. الذهبي، محمد بن أحمد (د.ت) سير أعلام النبلاء،ج٥، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ص ٣٣٠.

(3) ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مرجع سابق، ج٢ ، ص ١٣٠.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٥ ص ٣٣٠.

(5) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق،ج١، ص ٢٨٤.

(6) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٥، ص ٣٣٣.

والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول، وذلك لما ورد من عدة روايات أن مولده رضي الله عنه في الشعب وقت الحصار والذي كان قبل الهجرة بثلاث سنوات[٨]، بل نقل بعضهم أنه لا خلاف في ذلك[٩].

واختلفوا في سنة وفاته على أقوال، وهي:

١.توفي سنة ثمان وستين[١٠].

٢. مات سنة سبعين[١١].

٣.مات سنة ثلاث وسبعين[١٢].

نشأته:

مما تقدم ذكره من نسبه وولادته ووفاته تتضح معالم نشأة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، فإنه من بيت النبوة لقرابته من رسول الله وكونه ابن عمه، ولقرابته من أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها كونه ابن أختها، مما جعله ملمّاً بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخاصة.

نشأ سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو ينهل من معين النبوة لذا روي عنه أنه حفظ المحكم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم[١٣].

وقد كان يبات عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما جعله يتعرض لنفحات الرسالة المحمدية ففي الحديث المتفق عليه عَنْ ابْنِ عَبَّاس(أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْخَلَاءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) [١٤].

ما قيل عنه:

أجمعت الفرق والطوائف على أنه بحر التفسير وحبر الأمة الذي لم يكن على وجه الأرض في زمانه أعلم منه، ولذا كانت كل فرقة تدعي موافقتها لقوله وتستدل به، ومناقبه أكثر من أن تحصر[١٥].

ولسعة علم سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه ونبوغه في سن مبكرة روي أن عمر كان إذا جاءته الأقضية المعضلة دعا ابن عباس لاستشارته[١٦] .

وعن ابن عباس، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله. فقال: أنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾[١٧]. حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله تعالى ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري. ولم يقل بعضهم شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس كذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول. قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه

---

(٧) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج١ ص ٢٨٤. أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله،(١٩٩٨م)معرفة الصحابة، ج٣، عادل العزازي، ط١، دار الوطن، الرياض السعودية، ص٤٧٥.

(٨) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج١ ص ٢٨٤.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٥، ص ٣٣٣.

(١٠) ابن الجزري، محمد بن محمد،(٢٠٠٠٦م) غاية النهاية في طبقات القراء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٤٢٧. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج١ ص ٢٨٤.

(١١) ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مرجع سابق، ج٢ ص١٣٠. أبو نعيم ، معرفة الصحابة، مرجع سابق، ج٣ ص٢٨٤.

(١٢) ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مرجع سابق، ج٢ ص١٣٠.

(١٣) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مرجع سابق، ص٤٢٧.

(١٤) البخاري، محمد بن إسماعيل(١٤٢٢هـ) صحيح البخاري، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، كتاب الطهارة باب وضع الماء عند الخلاء دار طوق النجاة، ص ١٤٠. مسلم بن الحجاج (د.ت)، مسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عبد الله بن عباس(٢٤٧٧) دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(١٥) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مرجع سابق، ص٤٢٧.

(١٦) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مرجع سابق، ج١ ص ٢٨٤.

(١٧) سورة النصر، الآية ١

الله: " إذا جاء نصر الله والفتح " ، فتح مكة، فذاك علامة أجلك، " ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾" [١٨] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[١٩].

وكان عليّ بن أبى طالب يُثنى على تفسير ابن عباس ويقول: "كأنما ينظر إلى الغيب من سِتر رقيق"[٢٠].

وروى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا رجل[٢١].

وقد أرجع الباحثون أسباب النبوغ وبالتالي أهمية تفسيره ومكانة قوله بين المفسرين إلى ما يأتي[٢٢]:

أولاً: دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بالحكمة والعلم والفقه.

ثانياً: نشأته فى بيت النبوة وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم منذ التمييز، وحرصه على ذلك، ويتجلى هذا الحرص في طلبه من أم المؤمنين ميمونة في المبيت عندها ليرى فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته.

ثالثاً: ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، يأخذ عنهم ويروى لهم، وبهذا استعاض عما فاته من العلم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان رضي الله عنه هو الجامع لما تفرق من أقوال الصحابة عن رسول الله في علم التفسير وغيره. فعن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:إِنْ كُنْتُ لأَسْأَلُ عَنِ الأَمرِ الوَاحِدِ ثَلاَثِيْنَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–[٢٣].

رابعاً: اهتمامه باللغة العربية، فكان يحث تلامذته على سعة الاطلاع على كلام العرب، وكان يرى أن فهم القرآن لا يكون إلا بمعرفة معاني الكلمة عند من سبق من العرب، وكان يقول: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب[٢٤]. ومن هنا يظهر مدى تميز تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن غيره من المفسرين، وقصته الشهيرة التي نقلها المفسرون في كتبهم مع نافع بن الأزرق، والتي سأل فيها نافع عبد الله بن عباس عن معاني ما يقارب مائة وتسعين كلمة من غريب ألفاظ القرآن وأجاب عنها بما يستشهد به من شعر العرب، وقد ذكرها الإمام السيوطي[٢٥].

خامساً: سعة اطلاعه على سائر العلوم، وغوصه في معاني القرآن، وعدم الوقوف على ظاهر اللفظ مما جعل كبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم يثنون عليه بما سبق ذكره.

عصره:

في تلك الفترة ظهرت الفرق فمنها الخوارج والشيعة (الروافض) والقدرية وغيرها، وكان لعبد الله بن عباس

([١٨]) سورة النصر، الآية ٣

([١٩]) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى : فسبح بحمد ربك، مرجع سابق، حديث رقم (٣٩٥٦). الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

([٢٠]) القرطبي ، محمد بن أحمد (١٩٨٥م) الجامع لأحكام القرآن، ج١، تحقيق هشام سمير البخاري، دار حياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص٦٦. الزركشي، محمد بن عبد الله، (١٩٥٧م) البرهان في علوم القرآن،ج١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٨ . ابن عطية، محمد عبد الحق(١٩٩٣م) المحرر الوجيز،ج١، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٤٠.

([٢١]) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج١ ص ٢٨٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٥، ص ٣٣٥.

([٢٢]) الدكتور الذهبي، محمد حسين (د.ت) التفسير والمفسرون، ط١، ج٢، دار الضياء، بيروت، لبنان، ص١٤.

([٢٣]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٥، ص٣٤٠.

([٢٤]) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مرجع سابق، ج١، ص ٤٢٧.

([٢٥]) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٧٤م) الإتقان في علوم القران، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية، القاهرة، مصر، ص٣٤٨-٣٦٥.

مع هذه الفرق مواقف توضح مجانبته لها، والإنكار عليها.

أولاً: فرقة الخوارج:

هم فرقة خرجوا على علي بن أبي طالب عندما رضي بالتحكيم، وقالوا بكفره ووجوب قتله إن لم يتب، وكذلك الحكم في المحكمين وكل من رضي بالتحكيم وأصحاب الجمل، وقد انقسموا إلى عشرين فرقة، كلهم يقولون بكفر مرتكب الكبيرة وأنه خالد مخلد في النار إلا فرقة النجدات، ووجوب الخروج على الإمام الجائر[٢٦].

وقد أرسل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عبد الله بن عباس رضي الله عنه إلى الخوارج لاستتابتهم فرجع منهم عشرون ألفاً، وبقى أربعة آلاف فقتلوا[٢٧].

ثانياً: الشيعة الروافض:

هم الذين شيعوا علياً رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينقسمون لثلاث طوائف، وهم:

الطائفة الأولى: الشيعة الغلاة: وهم الذين غالوا في محبة علي بن أبي طالب حتى قالوا بألوهيته أو نبوته، ومن أئمتهم عبد الله بن سبأ الذي يقول أن علياً بن أبي طالب لم يمت وسيعود في آخر الزمان[٢٨].

الطائفة الثانية: الرافضة: سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم[٢٩].

الطائفة الثالثة: الزيدية: سموا زيدية لتمسكهم بقول زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان زيد بن علي يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولى أبا بكر وعمر[٣٠].

وقد انتشرت هذه الفرقة في زمن علي بن أبي طالب بالخصوص الغلاة منهم، فهمّ علي بن أبي طالب بقتلهم فاستشار عبد الله بن عباس فأشار عليه بنفيهم حتى لا يرتد عليه الناس[٣١].

ثالثاً: القدرية:

وهم من ينكرون إضافة الخير والشر إلى القدر الذي هو من الله تعالى، وأول من دعا لهذه الدعوى هو معبد الجهني وغيلان الدمشقي، وسار على هذا النهج واصل بن عطاء الذي اعتزل الإمام الحسن البصري، وهم على هذا أصل المعتزلة الذين يقولون أن أفعال العباد وما يحصل ليس من الله، بل إن الله خلق في مخلوقاته قدرة تمكنهم من فعل ما يريدون[٣٢].

وقد كان عبد الله بن عباس يتعجب من الخوض في القدر[٣٣].

معنى التفسير والتفويض والتأويل والعلاقة بينهم

أولاً: معنى التفسير:

التفسير فى اللغة: هو التبيين والإيضاح[٣٤].

---

(٢٦) أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل (د.ت) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص٢٢. البغدادي، عبد القادر بن طاهر (١٩٧٧م) الفرق بين الفرق، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ص٣٥.

(٢٧) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (١٤٠٥هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، ج١ دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، ص١٦٩.

(٢٨) مقالات الإسلاميين، الأشعري، مرجع سابق، ص ١٦.

(٢٩) المرجع السابق، ص ١٧.

(٣٠) الأشعري، مقالات الإسلاميين، مرجع سابق، ص ١٨.

(٣١) البغدادي، الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص٥٢.

(٣٢) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (١٤٠٤هـ) الملل والنحل، ج١، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص ٢٢. البغدادي، الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص٩٦.

(٣٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٣٤) الرازي، محمد بن أبي بكر (١٩٩٥م) مختار الصحاح، مادة (ف س ر) تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ص ٥١٧. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (١٩٥٢م) القاموس المحيط، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ص ٥٨٧. ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت) لسان العرب، ط١، ج٥، دار صادر، بيروت، لبنان، ص ٥٥. ابن زكريا، أحمد بن فارس، (٢٠٠٢م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٤، اتحاد الكتاب العرب، ص ٥٠٤.

وعلم التفسير:علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التى تُحمل عليها حالة التركيب[٣٥].

وعرَّفه الزركشى بأنه: "علم يُفهم به كتاب الله المُنَزَّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"[٣٦].

قال الدكتور الذهبي:" يُكتفى فى إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبيِّن لألفاظ القرآن ومفهوماتها"[٣٧].

ثانياً: معنى التأويل:

التأويل لغة: مأخوذ من الأول وهو الرجوع[٣٨]، وهو بمعنى مصير الشيء أي ما يرجع إليه[٣٩].

وقيل التأويل بمعنى الجمع والإصلاح، فكأن " التأويل " جمع معانٍ مُشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه[٤٠].

وقيل التأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه[٤١].

وقيل المراد بالتأْويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي إِلى ما يَحتاج إِلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفظ [٤٢].

ثالثاً: معنى التفويض:

التفويض مأخوذ من فَوَّض إليه الأمرَ، أي ردَّه إليه[٤٣].

والمراد بالتفويض الذي نقل عن المتقدمين هو : أن كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه[٤٤].

رابعاً: العلاقة بين التفسير والتأويل والتفويض:

بالنظر في تعريف المصطلحات الثلاثة، نجد أن التفسير والتأويل هو خوض في المعنى المراد من اللفظ غير الواضح، أما التفويض فهو الوقوف عند اللفظ غير الواضح دون خوض في معناه، فالعلاقة بين التفويض وبين التفسير والتأويل علاقة تناقض من حيث الخوض في المعنى المراد.

وأما العلاقة بين التفسير والتأويل فمما تقدم نقله يتضح أن حاصل اختلاف اللغويين بين التفسير والتأويل يدور حول رأيين:

الرأي الأول: ترادف التفسير والتأويل: وهو بيان المعنى من الكلام، سواء أوافق ظاهر اللفظ أو خالفه، وهذا ما كان عليه أوائل المفسرين[٤٥].

الرأي الثاني: أن التفسير هو حمل اللفظ على المعنى الظاهر، والتأويل: هو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر لمعنى آخر لدليل منع حمله على ذلك الظاهر[٤٦]، وهذا هو المعنى الذي اشتهر عند أهل البلاغة وجعلوه من المجاز[٤٧] وعند علماء أصول الفقه[٤٨]، وكذلك عند

---

(٣٥) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (٢٠٠١م) البحر المحيط، ط١، ج١، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ١٢١. الألوسي، محمود أبو الفضل (د.ت) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٤.

(٣٦) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ١٣.

(٣٧) الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ص١٢.

(٣٨) ابن منظور، لسان العرب ، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٣٩) الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٤٠) الأزهري، محمد بن أحمد (٢٠٠١م) تهذيب اللغة، ج٥، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ٢٠٧. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٤١) الأزهري، تهذيب اللغة ، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٤٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٤٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، مرجع سابق، ص ١٩٧. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص ٢١٠.الزبيدي، محمد بن محمد،(د.ت)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٨، دار الهداية، ص٤٦٩.

(٤٤) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٩٣م) الدر المنثور في التأويل بالمأثور ،ج٤، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص ٢٤٨.

(٤٥) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٤هـ) زاد المسير في علم التفسير، ط٣، ج١ دار صادر، بيروت، لبنان، ص٤. الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٤٢٠.

(٤٦) ابن منظور، لسان العرب ، مرجع سابق، ص ٥٥. الرازي، القاموس المحيط ، مرجع سابق، ص ٥٨٧.

(٤٧) القزويني، محمد بن سعد الدين (١٩٩٨م) الإيضاح في علوم البلاغة، ط٤ ، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ص ١٠١.

(٤٨) العطار، حسن (١٩٩٩م) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت

المتأخرين من علماء العقيدة بل وعند علماء التفسير[٤٩].

ويتضح من هذا سبب اللبس الذي يقع حيث إن اصطلاح المتأخرين وما اشتهر لديهم خلاف ما كان عليه المتقدمون في معنى التأويل، فمن قال من المتقدمين بمنع تأويل الآيات المتشابهات أراد منع الخوض فيها ولو بحملها على الظاهر، وفهم من هذا المنع بعض المتأخرين من المعاصرين أن المتقدمين منعوا حمل اللفظ عل المعنى البعيد وأجازوه في المعنى القريب[٥٠].

أقوال المفسرين في التفويض والتأويل:

قد اختلفت آراء المفسرين في جواز الخوض في الآيات المتشابهات، والخلاف يسري في ضابط المتشابه، وهو ما ورد في قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[٥١].

وهناك عدة أقوال في المراد بالمتشابه[٥٢] وهي:

١. "المحكمات" المعمول بهن، وهنّ الناسخات، "والمتشابهات" المتروك العملُ بهنّ، وهن المنسوخاتُ[٥٣]، وتأويله هو العمل بالمنسوخ[٥٤].

٢. "المحكمات": ما أحكم الله فيه بيانَ حلاله وحرامه، "والمتشابه": ما أشبه بعضُه بعضًا في المعاني، وإن اختلفت ألفاظه[٥٥]. وتأويله هو حمله على المعنى الذي يوافق الهوى[٥٦].

٣. "المحكمات": ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد،" والمتشابه": ما احتمل من التأويل أوجهًا[٥٧]. وتأويله حصر المراد في معنى واحد وتعيينه[٥٨]، وهذا القول رجحه ابن عطية[٥٩].

٤. "المحكم": ما أحكم الله فيه من آي القرآن، وقَصَص الأمم ورُسلهم ، ففصّله ببيان ذلك لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته ،"والمتشابه"، ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور[٦٠]. وتأويله هو الأخذ منه بمعنى يتوافق مع اعتقاداتهم الخاطئة والتي ردها القرآن في المواضع الأخرى[٦١].

٥. "المحكم": ما عرف العلماءُ تأويله، وفهموا معناه وتفسيره و"المتشابه": ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل، مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، وذلك نحو الخبر عن وقت مَخْرج عيسى ابن مريم، ووقت طُلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناءِ الدنيا، وما أشبه ذلك

لبنان، ص٤٩. الجويني، عبد الملك بن عبد الله، (١٩٩٧م) البرهان في أصول الفقه ،ج١، تحقيق: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٣٣٦.

(٤٩) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص ٤. البغوي، الحسين بن مسعود، (١٩٩٧م) معالم التنزيل، ط٤، ج٢، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة للنشر، المدينة المنورة السعودية، ص ١٠.

(٥٠) الذهبي، التفسير والمفسرون ، مرجع سابق، ص ١٢.

(٥١) سورة آل عمران، الآية ٧ .

(٥٢) ابن الجوزي ، زاد المسير ، مرجع سابق، ص٣٠٠.

(٥٣) الطبري، محمد بن جرير (٢٠٠٠م) جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، ج٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ص ١٧٤. الرازي، محمد بن عمر الحسين (د.ت) مفاتيح الغيب، ج٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص١٠٦. السيوطي، الدر المنثور ، مرجع سابق،ص ٢٧٨.

(٥٤) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٥٥) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ص ١٧٦. البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ص ٨. أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص ١٤٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر(١٩٩٩) تفسير القرآن العظيم، ط٢، تحقيق: محمد سلامة، دار طيبة للنشر، المدينة المنورة، السعودية، ص٧. الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٤٢٠.

(٥٦) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ص ٢٠٠. الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٤٢٠.

(٥٧) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج٦، ص ١٧٧. البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ص ٨. أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ١٤٤.

(٥٨) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٥٩) ابن عطية، المجرر الوجيز، مرجع سابق، ٣٨٢.

(٦٠) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٦١) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ص ٢٠٠.ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ص ٨.الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص٤٢٠.

من أمور لا حاجة قصدها الشرع في معرفتها، فإن ذلك لا يعلمه أحدٌ. وتأويله هو ادعاء العلم بها، ومنها الحروف المقطعة في أوائل السور والتي ادعى اليهود أنها تدل على أمور تتعلق بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٦٢].

٦. المحكم ما يعرف معناه وتكون حججه واضحة لا تشتبه، والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل[٦٣].

٧. المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا بردِّه إلى غيره[٦٤].

٨. المتشابهات ما لا سبيل إلى معرفته، كصفة الوجه، واليدين، واليد، والاستواء[٦٥] .

والقول الخامس الذي عرف المتشابه بأنه ما استأثر الله بعلمه من الغيبيات رجحه الطبري، فقال:" وهذا القول الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتأويل الآية. وذلك أن جميع ما أنزل الله عز وجل من آي القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنما أنزله عليه بياناً له ولأمته وهدًى للعالمين، وغيرُ جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه، ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجةُ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل"[٦٦].

وما سبق هو معنى المتشابه وتأويله الفاسد الذي أراده أهل الزيغ. وأما التأويل الصحيح ، فقد اختلف العلماء هل يعلمه غير الله كالعلماء أم لا؟

ومبنى الخلاف في الوقف على لفظ الجلالة أو وصله بما بعده في الآية:

القول الأول: الوقف على قوله تعالى:﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾[٦٧] وحده منفردًا بعلمه. وأما الراسخون في العلم، فيقولون: آمنا بالمتشابه والمحكم، وأنّ جَميع ذلك من عند الله[٦٨]، وهو ما رجحه الطبري وغيره[٦٩].وهو ما ذهب إليه القائلون بأن المتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه[٧٠].

وقال الألوسي:" أنه مذهب الأكثرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وأتباعهم خصوصاً أهل السنة ، وهو أصح الروايات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، ويدل على صحة مذهبهم أخبار كثيرة"[٧١]. وذكر الألوسي أجوبة على كل الحجج التي استدل بها أصحاب القول الثاني[٧٢].

القول الثاني: الوصل والمعنى فيه: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون:"آمنا به كلّ من عند ربنا"، وروي عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله[٧٣]، وبه قال بعض الفقهاء والمفسرين، وقالوا الخطاب بما لا يعلم بعيد[٧٤].وهو الذي ذهب

([٦٢]) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ص ١٧٩. ابن عطية، المجرر الوجيز، مرجع سابق، ص٣٧٩. البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ص ٨. أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص١٤٤. ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ص ٧. الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٤٢٠.

([٦٣]) البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ص ٩. أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص١٤٤.

([٦٤]) البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ص٩. الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص ١٠٦. أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص١٤٤.

([٦٥]) أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص١٤٤. الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٤٢٨.

([٦٦]) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج٦، ص ١٨٠.

([٦٧]) سورة آل عمران ، الآية ٧

([٦٨]) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ج٦، ص ٢٠١.ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ج٢ ،ص١٠.

([٦٩]) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ج٦، ص ٢٠٤.ينظر: البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج٢ ،ص ١٠. أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق،ج٣ ،ص ١٤٤.

([٧٠]) أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ج٣،ص ١٤٨. الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج٢ ص، ٤٢٢.

([٧١]) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج٢ ، ص٤٢٢.

([٧٢]) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج٢ ،ص ٤٢٥-٤٢٦.

([٧٣]) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج٦، ص ٢٠٣. البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج٢، ص ١٠. ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ج٢، ص ١١.

([٧٤]) ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ج٢ ، ص ١٠. أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ج٣ ،ص ١٤٤.

سائر من فسر المتشابه بما لم يتضح معناه[٧٥]، ومن أشهر المفسرين الذين رجحوا هذا القول الزمخشري[٧٦]. وذكروا لقولهم هذا عدة حجج[٧٧].

وقال ابن كثير: "ومن العلماء من فصل في هذا المقام، فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان، أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾ [٧٨] وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾[٧٩] أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على لفظ الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الكلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٨٠] مبتدأ و ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ﴾ [٨١] أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على: { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله: { يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} حالاً منهم، وساغ هذا"[٨٢].

التأويل وتفسير القرآن بالرأي: ذم المفسرون تفسير القرآن بالرأي[٨٣]، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنزل القرآنُ على سبعة أحرف، فالمِراءُ في القرآن كفرٌ – ثلاث مرات– فما عرْفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردُّوه إلى عالمه)[٨٤].

وقال العلماء أن ما جاء في القرآن على أربعة أوجه، وقد رويت هذه الأوجه عن ابن عباس – رضي الله عنه – [٨٥]:

١. ما لا يُتوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ونقله لنا العلماء. وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره ، وصنوفِ نَهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، وما أشبه ذلك من أحكام ،. وهذا وجهٌ لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له بنصٍّ منه عليه، أو بدلالة قد نصَبها.

٢. ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار. وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى بن مريم، وما أشبه ذلك: فإن تلك أوقاتٌ لا يعلم أحدٌ حدودَها، ولا يعرف أحدٌ من تأويلها إلا الخبرَ بأشراطها، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه. وكان نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا ذكر شيئًا من ذلك، لم يدلّ عليه إلا بأشراطه [٨٦].

---

(٧٥) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج٢ ، ص ٤٢٢.

(٧٦) الزمخشري، محمود بن عمر، (د.ت) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ص ٢٥٥.

(٧٧) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج٤،ص ١١٦.

(٧٨) سورة يوسف، الآية ١٠٠ .

(٧٩) سورة الأعراف، الآية ٥٣.

(٨٠) سورة آل عمران، الآية ٧

(٨١) سورة يوسف ، الآية ٣٦

(٨٢) ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ص١١-١٢.

(٨٣) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٨٤) ابن حنبل، أحمد(٢٠٠١م) المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، حديث رقم: ٧٩٧٦ ، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ورواه ابن حبان في صحيحه ، ابن حبان، محمد(د.ت) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، حديث رقم: ٧٣ ، المحقق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت. ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٨٥) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ص ٧٤. ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ص ١٠.

(٨٦) ابن عطية، المجرر الوجيز، مرجع سابق، ص ٣٩. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ص ٦٦.

٣.وأن منه ما يعلم تأويلَه كلُّ ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن وهو ما يفهم بلسان العرب. وذلك: إقامةُ إعرابه، ومعرفةُ المسمَّيات بأسمائها اللازمة غيرِ المشترَك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها، فإنّ ذلك لاَ يجهله أحدٌ منهم.

٤.ما يعلمه كل أحد ولا يعذر أحد بجهالته، وهو ما ورد من أحكام الحلال والحرام.

وبعد ذكر هذه الأوجه قال الألوسي:" إذا عرفت هذا ظهر لك جواز الأمرين الوقف على { إِلاَّ الله } والوقف على {الراسخون } وقال بعض أئمة التحقيق : الحق أنه إن أريد بالمتشابه ما لا سبيل إليه للمخلوق فالحق الوقف على { إِلاَّ الله } وإن أريد ما لا يتضح بحيث يتناول المجمل ونحوه فالحق العطف ، ويجوز الوقف أيضاً لأنه لا يعلم جميعه أو لا يعلمه بالكنه إلا الله تعالى"(٨٧).

وقال الرازي:" وأما المحقق المنصف ، فإنه يحمل الأمر في الآيات على أقسام ثلاثة أحدها : ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية ، فذاك هو المحكم حقاً . وثانيها : الذي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها ، فذاك هو الذي يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهره. وثالثها : الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه، فيكون من حقه التوقف فيه ، ويكون ذلك متشابهاً بمعنى أن الأمر اشتبه فيه ، ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر ، إلا أن الظن الراجح حاصل في إجرائها على ظواهرها فهذا ما عندي في هذا الباب والله أعلم بمراده"(٨٨) .

يبقى على كلامهم هذا إشكال: وهو على القول بجواز التأويل في كثير من المواضع، فلماذا أحجم بعض السلف عن ذلك؟

أجاب الطبري عن ذلك فقال:" وأما الأخبار التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه من التابعين، بإحجامه عن التأويل، فإنّ فِعلَ من فعل ذلك منهم، كفعل من أحجم منهم عن الفُتيا في النَّوازل والحوادث، مع إقراره بأنّ الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه إليه إلا بعد إكمال الدين به لعباده، وعلمه بأن لله في كل نازلة وحادثة حُكمًا موجودًا بنصٍّ أو دلالة. فلم يكن إحجامُه عن القول في ذلك إحجامَ جاحدٍ أن يكون لله فيه حكم موجود بين أظهُرِ عباده، ولكن إحجامَ خائفٍ أن لا يبلغَ في اجتهاده ما كلَّف الله العلماء من عباده فيه.فكذلك معنى إحجام مَن أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السَّلف، إنما كان إحجامه عنه حذرًا أن لا يبلغ أداءَ ما كلِّف من إصابة صوابِ القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوبٌ عن علماء الأمة، غير موجود بين أظهرهم"(٨٩).

وقال الطبري إن التفسير لا يكون بالرأي إذا اتبع المفسر الطريقة الصحيحة لكل وجه فقال: فإذ كان ذلك كذلك، فأحقُّ المفسرين بإصابة الحق –في تأويلِ القرآنِ الذي إلى عِلم تَأويله للعباد سبيلُ– أوضحُهم حُجة فيما تأوّل وفسَّر، مما كان تأويله منقول عن رسول الله، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته؛ ممَا كان مُدركًا علمُه من جهة اللسان: إمّا بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإمّا من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، ولا يكون خارجًا تأويلُه وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة (٩٠).

وليس من التفسير بالرأي أن يفسر اللغويون لغته والنحويون نحوه الفقهاء معانيه ويقول كل واحد

(٨٧) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٤٢٥. ينظر: ابن عطية، المجرر الوجيز، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٨٨) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٨٩) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ص ٨٩. ينظر: ابن عطية، المجرر الوجيز، مرجع سابق، ج١ ،ص ٣٩.القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٩٠) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق ص ٩٣. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق،ص ٤.

باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فإن القائل على هذه الصفة متبع لطريقة من طرق التفسير [٩١].

ورد القرطبي قول من قال أن التفسير لا يكون إلا بالنقل من الآثار فقط فقال:" وقال بعض العلماء : إن الصحابة رضي الله عنهم قد قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه و سلم فالنبي (صلى الله عليه و سلم) دعا لابن عباس وقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، فإن التأويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك![٩٢].

وزاد الألوسي في الاستدلال على منع قصر التفسير على المأثور فقال:" الأدلة على جواز الرأي والإجتهاد في القرآن كثيرة وهي تعارض ما يشعر بالمنع فقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[٩٣] وقال تعالى : أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وقال تعالى : كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب وأخرج أبو نعيم وغيره من حديث إبن عباس القرآن ذلول ذو وجوه فأحملوه على أحسن وجوهه... إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة والعجب كل العجب مما يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني التراكيب ولم ينظر إلى إختلاف التفاسير وتنوعها"[٩٤].

وقال القرطبي في محمل النهي في الأخبار: وإنما النهي يحمل على أحد وجهين :

أحدهما : أن يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ، ومقصوده أن يلبس على خصمه.

الوجه الثاني: أن يسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل إحكام الظاهر ..." [٩٥].

وزاد الألوسي أوجهاً أخرى منها:

ثالثاً: الخوض في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

رابعاً: الجزم بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل[٩٦].

ومما تقدم يتضح أن جمهور المفسرين لم يمنعوا التأويل بالمعنى المشهور عند المتأخرين والأصوليين وعلماء البلاغة، وحملوا المنع على ما اختص الله به نفسه من علم الغيبيات ونحو ذلك، مع وجوب الرجوع إلى أقوال السلف في ذلك.

ترجيح التفويض عند المفسرين:

بعد استعراض أقوال المفسرين في معنى المتشابه والخلاف في معرفة معنى المتشابه رجح المفسرون التفويض في معنى المتشابه لله سبحانه وتعالى، وذلك لأن صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل ، وإذا تعددت المعاني المحتملة ، فليس الحمل على أحدهما أولى من العكس ، لأن ذلك

([٩١]) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ص ٣٩. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ص ٦٦. الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٥.

([٩٢]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ص ٦٦..ينظر: الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٤٢٢.

([٩٣]) سورة النساء، الآية ٨٣ .

([٩٤]) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق ، ص ٦.

([٩٥]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ص ٦٦.

([٩٦]) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق ، ص ٦.

يكون ترجيح مجاز على مجاز ، وتأويل على تأويل [٩٧].

أقوال الفرق الإسلامية :

بعد أن تقرر أن آيات الصفات من المتشابهات، فقد اختلفت الفرق الإسلامية في الخوض فيها، وحاصل آراء الفرق في ذلك ينقسم لرأيين:

التفويض: وهو عدم صرف اللفظ لمعنى آخر غير الظاهر.

التأويل: صرف اللفظ عن المعنى الظاهر لمعنى آخر محتمل.

وتعريف التفويض بما سبق لأن الناظر في أقوال الفرق يجد أنهم قد اختلفوا في معنى عدم الخوض، ولذا أنكر بعض من قال بالتفويض على بعض آخر يدعي القول بالتفويض، كما سيتضح أن من قال بالتأويل قد ذم نوعاً من التأويل،فكلا الرأيين ينقسمان في الحقيقة لمحمود ومذموم.

وحيث إن هذه المسألة من عويصات علم التفسير وعلم العقيدة، فلن نخوض في استدلالات كل فريق وجوابه عنها، بل نكتفي بذكر الآراء مع أدلتها.

الرأي الأول: التفويض: وهو عدم صرف اللفظ لمعنى آخر غير الظاهر.وهم في ذلك منقسمون لقسمين:

القسم الأول: لا يخوض في معنى اللفظ على الإطلاق، ويفوض المراد من اللفظ لله تعالى، ولا يحمل اللفظ على حقيقته، بل يقول: تفسيره تلاوته. أي أنهم يكلون المعنى جملة وتفصيلاً لله تعالى فلا يحملون اللفظ على ظاهره ولا يؤولونه، فيقولون الله مستو على عرشه استواء لا نعلم معناه، وهذا مذهب المتقدمين من العلماء[٩٨]، وقد تقدم ذكرهم في الحديث عن الخوض في معنى المتشابهات.

وهؤلاء مع تفويضهم المعنى ينفون حمل اللفظ على المعنى الذي يدل على المشابهة والتجسيم، ويحذرون من اعتقاده، قال في العقيدة الطحاوية: ومن لم يتوق النفي والتشبيه زلّ ولم يصب التنزيه[٩٩].

القسم الثاني: لا يحملون اللفظ على معنى غير ظاهر، ولكن يثبتون اللفظ بالمعنى الحقيقي، ويكلون علم ذلك إلى الله تعالى، ويقولون لله يد حقيقية لا كيد المخلوقين ، والله مستو على عرشه استواء حقيقياً ولا نعلم كيفيته، وهكذا في بقية آيات الصفات.

وهؤلاء وقع في كلامهم لبس، حيث نقل عن بعضهم تفسير الاستواء بالجلوس وهو المعنى الظاهر للاستواء، فكأنه أثبت الجلوس ونفى علمه بالكيفية فقط، وألف العلماء توضيحاً لمعنى التفويض، وأن القسم الثاني هو خوض في المعنى، وأن إثبات الكيف مع نفي العلم به لا يعد تفويضاً، وليس هو مذهب السلف الصالح[١٠٠].

فالسلف رضوان الله عليهم ينفون علمهم بمعنى اللفظ جملة وتفصيلاً، والمشبهة يثبتون علمهم بالمعنى وأن المراد منه المعنى الظاهر ويثبتون أن له كيفاً ولكنهم يجهلونه.

فمثلاً في الاستواء: السلف يقولون الله مستو على عرشه استواء لا نعرفه والله منزه عن الصفات الحادثة، أما المشبهة يقولون الله مستو على عرشه استواء حقيقياً، لا نعلم كيف هذا الاستواء.

فنجد أن كلا القسمين قد توقفا في أمر ، ولكن السلف فوضوا علم المعنى والمشبهة فوضوا علم الكيفية.

قال ابن خلدون:" ذلك أن القرآن ورد فيه وصف المعبود، بالتنزيه المطلق، الظاهر الدلالة من غير تأويل في آي كثيرة، وهي سلوب كلها وصريحة في بابها، فوجب الإيمان بها. ووقع في كلام الشارع

([٩٧]) أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص ١٤٥.

([٩٨]) الميداني، عبد الغني الغنيمي (٢٠٠٥م) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، ط١، دار البيروتي، لبنان، ص٧٣،

([٩٩]) المرجع السابق.

([١٠٠]) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (١٩٨٥م) إلجام العوام عن علم الكلام، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص٨٧-٩٥.

صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها. ثم وردت في القرآن آي أخرى قليلة توهم التشبيه، مرة في الذات وأخرى في الصفات. فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها، وعلموا استحالة التشبيه. وقضوا بأن الآيات من كلام الله، فآمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها، ببحث ولا تأويل. وهذا معنى قول الكثير منهم: اقرأوها كما جاءت، أي آمنوا بأنها من عند الله. ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها، لجواز أن يكون ابتلاء، فيجب الوقف والإذعان له. وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات، وتوغلوا في التشبيه: ففريق شبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه، عملاً بظواهر وردت بذلك، فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق، لأن معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار. وتغليب آيات السلوب في التنزيه المطلق، التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة، أولى من التعلق بظواهر هذه التي لنا عنها غنية، وجمع بين الدليلين بتأويلها. ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم لا كالأجسام. وليس ذلك بدافع عنهم، لأنه قول متناقض، وجمع بين نفي وإثبات"[١٠١].

وبسبب هذا اللبس لجأت بعض الفرق للتأويل مع ترجيحهم للتفويض الذي قال به السلف.

أدلة هذا الرأي[١٠٢]:

من أهم أدلتهم هو استدلالهم بقوله تعالى: {وما يعلم تأويله إلا الله} والوقف على لفظ الجلالة كما تقدم، وبما ورد من النهي عن الحديث بالرأي، وبما ورد من النهي عن الظن، والتأويل من الظن، وقد تقدم تفصيل ذلك، وبعدم ورود التأويل عن السلف.

الرأي الثاني: التأويل: صرف اللفظ عن المعنى الظاهر لمعنى آخر محتمل، وهم ينقسمون لقسمين، وهما:

القسم الأول: من حمل اللفظ على معنى يقرب من سياق الآية، ولم يذهب لمعنى بعيد لا يعرف في اللغة، وهو ما سار عليه متأخرو الأشاعرة. وهؤلاء خاضوا في الآيات المتشابهة في الصفات، وحملوها على معانٍ تعرف في اللغة العربية ولكنها ليست هي المتبادرة للذهن[١٠٣].

واستدلوا على ذلك بقراءة الوقف على لفظ: " والراسخون في العلم"، وبقول ابن عباس المتقدم ذكره، وبالحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله عز و جل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك ؟ وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي"[١٠٤]. فقالوا هذا الحديث صريح في وجوب تأويل المتشابه في حق المولى سبحانه وتعالى.

وبما روي من تأويلات عن السلف الصالح والذي نقله العلماء عنهم في كتب التفسير كتفسير الطبري وابن كثير والسيوطي، وألفت في ذلك كتب[١٠٥].

القسم الثاني: من حمل اللفظ على معنى بعيد لا يدل عليه السياق، ومنهم الباطنية، والذين عطلوا الأخذ بما

---

(١٠١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(د.ت) مقدمة ابن خلدون، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ٢٦٨.

(١٠٢) الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، مرجع سابق، ص٦٥. ينظر: العصري، سيف بن علي (٢٠١٠م)، كتاب القول التمام بإثبات التفويض مذهباً للسلف الكرام، ط٢، دار الفتح، عمان ، الأردن.

(١٠٣) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٤٢٨.

(١٠٤) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل عيادة المريض، (الحديث رقم ٢٥٦٩).

(١٠٥) الراعي، محمد توفيق (٢٠٠٠٦م) أقوال العلماء الأثبات في آيات وأحاديث الصفات، ط٢، دار بدر، المنصورة، مصر. حمد السنان، فوزي العنجري، (د.ت) أهل السنة الأشاعرة (شهادة العلماء وأدلتهم)، ط١، دار الضياء، بيروت لبنان.

هو ظاهر ولا اشتباه فيه وخاضوا في معناه بما لا تعرفه العرب، مثاله: من تمسك بالآيات الواردة في ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار ، قال المقصود بيان سعادات المطيعين وشقاوة المذنبين ، ومن تمسك بالآيات الواردة في إثبات وجوب الصلاة فقال المقصود منه إيجاب تنوير القلب بذكر الله ، فأنا أكتفي بهذا القدر ولا أوجب الصلاة المأمور بها بالآيات القرآنية، وحينئذ يخرج القرآن عن أن يكون حجة في المسائل الأصولية والفروعية.

وقد ذم أصحاب القسم الأول من يقول بتأويلات الباطنية، قال الرازي في معرض رده على الزمخشري عندما أراد أن يجعل صرف اللفظ عن ظاهره هو الأولى دائماً:" ولما ذكر هذه الوجوه – في معنى القبضة – عاد إلى القول الأول بأنها وجوه ركيكة ، وأن حمل هذا الكلام على محض التمثيل أولى ، وبالغ في تقرير هذا الكلام فأطنب ، وأقول إن حال هذا الرجل في إقدامه على تحسين طريقته ، وتقبيح طريقة القدماء عجيب جداً ، فإنه إن كان مذهبه أنه يجوز ترك الظاهر اللفظ ، والمصير إلى المجاز من غير دليل فهذا طعن في القرآن وإخراج له عن أن يكون حجة في شيء ، وإن كان مذهبه أن الأصل في الكلام الحقيقة ، وأنه لا يجوز العدول عنه إلا لدليل منفصل ، فهذا هو الطريقة التي أطبق عليها جمهور المتقدمين ، فأين الكلام الذي يزعم أنه علمه؟ وأين العلم الذي لم يعرفه غيره؟ مع أنه وقع في التأويلات العسرة والكلمات الركيكة ، فإن قالوا المراد أنه لما دل الدليل على أنه ليس المراد من لفظ القبضة واليمين هذه الأعضاء ، وجب علينا أن نكتفي بهذا القدر ولا نشتغل بتعيين المراد ، بل نفوض علمه إلى الله تعالى ، فنقول هذا هو طريق الموحدين الذين يقولون إنا نعلم ليس مراد الله من هذه الألفاظ هذه الأعضاء ، فأما تعيين المراد ، فإنا نفوض ذلك العلم إلى الله تعالى ، وهذا هو طريقة السلف المعرضين عن التأويلات ، فثبت أن هذه التأويلات التي أتى بها هذا الرجل ليس تحتها شيء من الفائدة أصلاً ، والله أعلم" [١٠٦].

وبعد النظر في قسمي كل رأي يتضح أن القسم الرابع رده جمهور العلماء، وحصل الخلاف في جواز الخوض في التأويل بين أصحاب الرأي الأول وبين القسم الأول من الرأي الثاني.

ولأن مدار أدلة كل فريق منهم على النقل عن السلف من الصحابة والتابعين، فالجميع يستدل بقولهم، ولورود آثار متعارضة في ظاهرها عن ابن عباس، استدعى البحث والدراسة عن أقوال ابن عباس في آيات الصفات وموقفه منها. وتم اختيار صفة الوجه لتعدد المواضع فيها، وسيتم بحث رواياته في قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[١٠٧]

الروايات الواردة عن ابن عباس (رضي الله تعالى عنه):

١. روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أَبي سَعِيدٍ الأَشَجُّ، عن عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْكِلابِيُّ، عَنْ نَضْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس: " " فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ " ، قِبْلَةُ اللَّهِ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتَ شَرْقًا أَوْ غَرْبًا"[١٠٨].

وهذه الرواية ليس فيها ضعف، بل كل رواتها من الثقات، وفي رواية عكرمة عن ابن عباس كلام طويل بين العلماء، وحاصل ما اعتمده ابن حجر اعتماد روايته فقال: "ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة" [١٠٩].

([١٠٦]) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

([١٠٧]) سورة البقرة، الآية ١١٥.

([١٠٨]) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن (د.ت) تفسير القرآن، ج١، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ص ٣١٠. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ص ٣٩١. السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ص ٢٠٨. ابن الجوزي، زاد المسير ، مرجع سابق، ص ١١٥.

([١٠٩]) العسقلاني، أحمد بن حجر (١٩٩٤م)، تقريب التهذيب، ج٢، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ص ٣٩٧.

وقد روي هذا القول عن مجاهد وقتادة[١١٠].

٢. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كلمة الوجه هنا صلة، والمعنى فثمّ الله أي علمه وحكمه [١١١] .

ذكر الأقوال الأخرى:

١.وجه الله: أي إليه القصد والنية، والمعنى العمل لله ، قاله الفراء [١١٢]، ونظيره قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [١١٣]) [١١٤].

٢.وجه الله :أي رحمته ورضاه، ونقل عن مجاهد والحسن وقتادة[١١٥].

٣.وجه الله: جاه الله، أي جلاله وعظمته[١١٦].

٤.حمل بعض العلماء معنى لفظ الوجه على أنه صفة لله تعالى[١١٧]:

ذكر أقوال بعض المفسرين في الترجيح بين الأقوال ومناقشتها:

بالنظر في أقوال المفسرين نجد أن مجملها يدور على الاختلاف في المعنى القريب من اللفظ كالقبلة والرضا والعلم والحكمة والعمل والجاه والأمر ونحو ذلك.

والرواية الثانية لابن عباس وهي أن الوجه هنا صلة، فيكون المعنى أينما نتوجه فالله موجود، قال الرازي تعليقاً على هذا القول:" واعلم أن هذا التفسير صحيح في اللغة إلا أن الكلام يبقى ، فإنه يقال لهذا القائل : فما معنى قوله تعالى: {فَثَمَّ وَجْهُ الله } مع أنه لا يجوز عليه المكان فلا بد من تأويله بأن المراد : فثم قبلته التي يعبد بها ، أو ثم رحمته ونعمته وطريق ثوابه والتماس مرضاته "[١١٨].

وقال الطبري:" ... لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهًا من ذلك وناحية إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية؛ لأن له تعالى المشارق والمغارب، وأنه لا يخلو منه مكان، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[١١٩]) [١٢٠].قال ابن كثير تعليقاً عليه: أنه إن أراد علمه تعالى فصحيح؛ فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه، تعالى الله[١٢١].

قال الألوسي:" قيل:الوجه بمعنى الذات مثله في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [١٢٢])"[١٢٣].

ويتضح مما تقدم أن الطبري وغيره لم يرتضوا القول الأخير الذي حمل الوجه على أنه صفة لله تعالى كالسمع، وكذلك لم يرتضوا حملها على وجه يوهم وجود ذات الله تعالى في جهة، بل قال العلماء أن الآية دليل على نفي ذلك.

وقال أبو حيان في رد القول الأخير:" وقد ذهب بعض الناس إلى أن تلك صفة ثابتة لله بالسمع ، زائدة على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى . وضعف أبو العالية وغيره هذا القول، لأن فيه الجزم بإثبات صفة لله تعالى بلفظ محتمل، وهي صفة لا يدرى ما هي ، ولا يعقل معناها في اللسان العربي ، فوجب إطراح هذا القول والاعتماد على ما له محمل في لسان العرب. إذا كان للفظ دلالة على التجسيم فنحمله إمّا على ما يسوغ فيه من الحقيقة التي يصح نسبتها إلى

([١١٠]) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ص٥٢٩. ابن عطية، المجرر الوجيز، مرجع سابق، ص ١٤٢.أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص ٤٧٠

([١١١]) أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص ٤٧١. ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص ١١٥.

([١١٢]) أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص ٤٧١.

([١١٣]) سورة الأنعام، الآية ٧٩.

([١١٤]) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص ٣٠٧،

([١١٥]) البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ١٣٩. أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص٤٧١.

([١١٦]) أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص٤٧١. الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص٤٧٨.

([١١٧]) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ص٥٣٦.

([١١٨]) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

([١١٩]) سورة المجادلة، الآية ٧

([١٢٠]) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ص ٥٢٩.

([١٢١]) ابن كثير، تفسير القرآن، مرجع سابق، ص ٣٩١.

([١٢٢]) سورة القصص، الآية ٨٨ .

([١٢٣]) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص٤٧٨.

الله تعالى إن كان اللفظ مشتركاً ، أو من المجاز إن كان اللفظ غير مشترك . والمجاز في كلام العرب أكثر من رمل يبرين ونهر فلسطين "[١٢٤].

وقال القرطبي في رده:" وقال بعض الأئمة : تلك صفة ثابتة بالسمع زائدة على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى قال ابن عطية : وضعف أبو المعالي هذا القول وهو كذلك ضعيف وإنما المراد وجوده"[١٢٥].

وقد قال الرازي: أن هذه الآية دالة على تنزيه الله عن الجسمية؛ فلو كان الله تعالى جسماً لكان وجهه في جهة معينة وهذا منفي بالآية؛ لذا لا يصح الاستدلال على كون الله تعالى جسماً بهذه الآية مما يوجب حمل الوجه على غير المعنى الظاهر وهو العضو[١٢٦].

وقال الألوسي أن في الآية دلالة على عدم وجود الله في جهة فقال:" ومن الناس من قال : الآية توطئة لنسخ القبلة ، وتنزيه للمعبود أن يكون في حيز وجهة ، وإلا لكانت أحق بالاستقبال"[١٢٧].

ولذا اعتمد كثير من المفسرين حمل اللفظ على معنى تحتمله اللغة العربية، ولم يرجحوا بين هذه المعاني بل قالوا أنها تحتمل كل هذه الوجوه المذكورة سابقاً – عدا قول من قال أنها صفة كالسمع –.

وبالنظر في جميع الأقوال التي يحتملها اللفظ – عدا القول المردود – نجدها كلها بمعنى واحد، غايته هو حمل الوجه على الرضا.

قال الرازي أنه يصح حمل الوجه على الرضا كما في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ... ﴾ [١٢٨] يعني لرضوان الله، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[١٢٩] يعني ما كان لرضا الله ،وقال:" ووجه الاستعارة أن من أراد الذهاب إلى إنسان فإنه لا يزال يقرب من وجهه وقدامه ، فكذلك من يطلب مرضاة أحد فإنه لا يزال يقرب من مرضاته ، فلهذا سمي طلب الرضا بطلب وجهه"[١٣٠].

وبعد النظر فيما سبق ذكره من أقوال ومن سبب نزول الآية – مع نقل الخلاف في ذلك – وبعد رد العلماء لقول من قال أن الوجه صفة لله–، يتضح أن ذكر الوجه هنا لم يرد به صفة من صفات الله ، وأن المراد به ما أمر الله به، وبه يكون الجمع بين جميع الأقوال، فما أمر الله به فيه رضاه ورحمته وحكمه وعلمه وهو في هذه المسألة القبلة سواء كانت الكعبة أو الجهة التي يتجه إليها المسافر.

وما قيل في هذا الموضع من عدم حمل لفظ الوجه على معنى الذات أو الصفة كالسمع يقال في المواضع الأخرى مع اختلاف في المعاني المحتملة.

الخاتمة

توصل الباحثان مما تقدم عرضه ومناقشته إلى العديد من النتائج ومن أهمها:

١. أن شخصية الصحابي الجليل عبد الله بن عباس من الشخصيات الهامة في علم التفسير، إن لم تكن أهم شخصية.
٢. ثبت بالروايات الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس بأن يكون ممن يعلم التأويل، وقد نسب ابن عباس نفسه لمن يعلمون بالتأويل.
٣. التأويل عند المتقدمين هو بيان اللفظ سواء كان بالمعنى الظاهر أو بالمعنى المحتمل، وليس ما اشتهر عند المتأخرين أنه صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى محتمل.
٤. التأويل – بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره – لآيات الصفات جرى الخلاف فيها بين الفرق الإسلامية، وكلهم يستدلون بالكتاب والسنة وآثار السلف.
٥. ثبت عن ابن عباس صرف لفظ الوجه عن المعنى المتبادر للذهن – وهو العضو المعروف – إلى معنى

([١٢٤]) أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ص ٤٧١.
([١٢٥]) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ص ٧٧.
([١٢٦]) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص ٣٠٧.
([١٢٧]) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص ٤٧٨.
([١٢٨]) سورة الإنسان الآية ٩
([١٢٩]) سورة القصص، الآية ٨٨.
([١٣٠]) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص٣٠٨. القرطبي، تفسير القرطبي، مرجع سابق، ص ٧٧.

آخر، وهو اتباع أمر الله باستقبال القبلة وغيرها من الأوامر المؤدي لرضا الله.

٦. أن الثابت بالروايات الصحيحة أن ابن عباس يجوّز الخوض في معنى آيات الصفات، وذلك بتأويلها بمعنى صرف اللفظ عن المعنى المتبادر إلى معنى محتمل.

٧. جمهور المفسرين نصوا على استحالة حمل لفظ " الوجه " على العضو المعروف لما فيه من التجسيم.

التوصيات:

أهم التوصيات التي خرجت بها هي:

١. قيام دراسة كاملة لجميع الروايات التي وردت عن ابن عباس في معنى آيات الصفات للخروج بموقف قاطع لحبر الأمة من هذه المسألة.

٢. الاهتمام بالرجوع إلى علم التفسير وربط بقية العلوم به، ومن أهمها علم العقيدة والكلام.

ختاماً: أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتجاوز عني فيما وقعت فيه من تقصير وخطأ، وما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ من نفسي.

فإن تجد عيباً فسد الخللا ... فجل من لا عيب فيه وعلا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

١. ابن الاثير، علي بن محمد (٢٠٠٠٦م) أسد الغابة في معرفة الصحابة،ج٢، تحقيق:خالد طرسوسي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (٢٠٠٥م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب،ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

٣. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (١٩٩٤م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، ج٣، دار صادر، بيروت، لبنان.

٤. الذهبي، محمد بن أحمد (د.ت) سير أعلام النبلاء،ج٥، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة.

٥. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله،(١٩٩٨م)معرفة الصحابة، ج٣، عادل العزازي، ط١، دار الوطن، الرياض السعودية.

٦. ابن الجزري، محمد بن محمد،(٢٠٠٠٦م) غاية النهاية في طبقات القراء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل(١٤٢٢هـ) صحيح البخاري، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة.

٨. مسلم بن الحجاج (د.ت)، مسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٩. القرطبي ، محمد بن أحمد (١٩٨٥م) الجامع لأحكام القرآن، ج١، تحقيق هشام سمير البخاري، دار حياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٠. الزركشي، محمد بن عبد الله، (١٩٥٧م) البرهان في علوم القرآن،ج١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١. ابن عطية، محمد عبد الحق(١٩٩٣م) المحرر الوجيز،ج١، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢. الدكتور الذهبي، محمد حسين (د.ت) التفسير والمفسرون، ط١، ج٢، دار الضياء، بيروت، لبنان.

١٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٧٤م) الإتقان في علوم القران، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية، القاهرة، مصر.

١٤. أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل (د.ت) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٥. البغدادي، عبد القادر بن طاهر (١٩٧٧م) الفرق بين الفرق، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

١٦.أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (١٤٠٥هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، ج١ دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان.
١٧.الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (١٤٠٤هـ) الملل والنحل، ج١، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٨.الرازي، محمد بن أبي بكر (١٩٩٥م) مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان.
١٩.الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (١٩٥٢م) القاموس المحيط، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
٢٠.ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت) لسان العرب، ط١، ج٥، دار صادر، بيروت، لبنان، ص ٥٥.
٢١.ابن زكريا، أحمد بن فارس، (٢٠٠٢م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٤، اتحاد الكتاب العرب.
٢٢.أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (٢٠٠١م) البحر المحيط، ط١، ج١، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٣.الألوسي، محمود أبو الفضل (د.ت) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٤.الأزهري، محمد بن أحمد (٢٠٠١م) تهذيب اللغة، ج٥، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢٥.ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص ٢١٠.الزبيدي، محمد بن محمد،(د.ت)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٨، دار الهداية.
٢٦.السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٩٣م) الدر المنثور في التأويل بالمأثور ،ج٤، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٢٧.ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٤هـ) زاد المسير في علم التفسير، ط٣، ج١ دار صادر، بيروت، لبنان.
٢٨.القزويني، محمد بن سعد الدين (١٩٩٨م) الإيضاح في علوم البلاغة، ط٤ ، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان.
٢٩.العطار، حسن (١٩٩٩م) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٣٠.الجويني، عبد الملك بن عبد الله، (١٩٩٧م) البرهان في أصول الفقه ،ج١، تحقيق: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣١.البغوي، الحسين بن مسعود، (١٩٩٧م) معالم التنزيل، ط٤، ج٢، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة للنشر، المدينة المنورة السعودية.
٣٢.الطبري، محمد بن جرير (٢٠٠٠م) جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، ج٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
٣٣.الرازي، محمد بن عمر الحسين (د.ت) مفاتيح الغيب، ج٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٣٤.ابن كثير، إسماعيل بن عمر(١٩٩٩) تفسير القرآن العظيم، ط٢، تحقيق: محمد سلامة، دار طيبة للنشر، المدينة المنورة، السعودية.
٣٥.الزمخشري، محمود بن عمر، (د.ت) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٣٦.ابن حنبل، أحمد(٢٠٠١م) المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٧.ابن حبان، محمد(د.ت) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المحقق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٨.الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (١٩٨٥م) إلجام العوام عن علم الكلام، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣٩.ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(د.ت) مقدمة ابن خلدون، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٤٠.العصري، سيف بن علي (٢٠١٠م)، كتاب القول التمام بإثبات التفويض مذهباً للسلف الكرام، ط٢، دار الفتح، عمان ، الأردن.
٤١.الراعي، محمد توفيق (٢٠٠٠٦م) أقوال العلماء الأثبات في آيات وأحاديث الصفات، ط٢، دار بدر، المنصورة، مصر.
٤٢.حمد السنان، فوزي العنجري، (د.ت) أهل السنة الأشاعرة (شهادة العلماء وأدلتهم)، ط١، دار الضياء، بيروت لبنان.
٤٣.العسقلاني، أحمد بن حجر (١٩٩٤م)، تقريب التهذيب، ج٢، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.